

(12) والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

لا زال المؤلف -رحمه الله- يذكر ما يتعلق بصفات رب العالمين فقال في عقيدته هذه: (والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى) أثبت الطحاوي لربه ما أثبتته لنفسه وهو إثبات الغضب والرضا وهما صفتان فعليتان من صفات رب العالمين.

فالله سبحانه وبجمده يغضب غضباً حقيقياً لا يماثل غضب الآدميين كما أنه سبحانه يرضى رضاً حقيقياً لا يماثل رضا المخلوقين، وقد أثبت الله تعالى لنفسه الغضب في غير آية في كتابه فقال سبحانه وتعالى: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء: 93] ، أضاف الله الغضب وأسندته إلى نفسه (وَعَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ) ، وقال سبحانه وتعالى: { فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } [الزخرف: 55]، أي أغضبونا.

وكذلك ما يقابله من الرضا فإن الله تعالى أثبت لنفسه الرضا فقال: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [البينة: 8]، فأثبت لنفسه الرضا، وكذلك أثبت له نبيه صلى الله عليه وسلم أثبت له هذين الوصفين فقال في حديث الشفاعة الطويل (إن ربي غضب غضباً لم يغضب مثله قط ولن يغضب مثله قط)، فأثبت لربه هذا الوصف. وكذلك في الرضا قال: (إن الله رضى لكم كذا وكذا، وسخط لكم كذا وكذا)، فكان الواجب علينا بناءً على ما قعدناه من وجوب إثبات ما أثبتته الرب لنفسه وأثبتته له نبيه ونفي ما نفاه الرب عن نفسه أو نفاه عنه نبيه أن نثبت لربنا هذين الوصفين وما مائلهما من الصفات الفعلية، فالغضب والرضا من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وهذا فرق ما بين الصفة الذاتية والفعلية، أن الصفة الذاتية ملازمة لذات الرب لا تنفك عنه كعلمه وسمعه وبصره وحكمته وقدرته.

والصفات الفعلية هي متعلقة بمشيئته وحكمته التي توجد بوجود أسبابها وترتفع بارتفاع أسبابها، فغضب الله تعالى مقروناً بأسبابه ورضاه مقروناً بأسبابه فإنه سبحانه وتعالى حكيمٌ في جميع صفاته، وقد شرق في هذا الأمر النفاة من المعطلة على اختلاف طبقاتهم من الجهمية فمن دونهم، حتى الصفاتية من الأشاعرة والماتوريدية أبوا أن يثبتوا لله تعالى هذين الوصفين وما على شاكلتهما، وقالوا إنه لا يمكن أن نثبت لله غضباً ولا رضاً لما؟

قالوا: الغضب من صفات المخلوقين والرضا من صفات المخلوقين فكيف نثبت ذلك للرب؟

قلنا لهم قد أثبت الرب لنفسه هذا فيسعدنا أن نثبت ما أثبت لنفسه، قالوا: لكن الغضب الذي أثبتته الرب

لنفسه ليس المقصود به غضباً حقيقياً ولا رضىً حقيقياً بل المراد بالغضب الانتقام أو إرادة الانتقام والمراد بالرضا الإنعام أو إرادة إنعام "أي بمعنى أنهما أولوهما عن حقيقتهما لشيء مخلوق وهو الإنعام أو الانتقام أو أنهم أولوهما إلى صفةٍ أخرى وهي الإرادة، فبعضهم يقول: الغضب هو الانتقام، وبعضهم يقول إرادة الانتقام. والرضا ونحو الرحمة هي الإنعام أو إرادة الإنعام، كل ذلك من إثبات الوصف الحقيقي، فقلنا لهم بما أنكم أثبتتم لله تعالى الإرادة، والإرادة من صفة المخلوقين فأثبتوا له الغضب إذ الغضب من صفات المخلوقين، فإن قالوا لكن الإرادة التي نثبتها لله إرادة تليق به، قلنا لهم والغضب الذي نثبتته لله غضبٌ يليق به والرضا الذي نثبتته لله رضىً يليق به، قالوا: لكن الغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام، والله منزّه عن ذلك، قلنا لهم: هذا غضب المخلوق كما أن الإرادة التي يثبتونها لله ميل النفس في اختيار أحد الأمرين فإن أبيتتم الغضب فعليكم أن تأبوا الإرادة وإن أثبتتم الإرادة فأثبتوا الغضب فإنه لا فرق بين ما أثبتموه كالإرادة والسمع والبصر والحياة والعلم والكلام والقدرة ولا ما نفيتموه كالرضا والفرح والضحك والعجب والنزول والاستواء، فإنها كلها أخبر الله بها عن نفسه وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم ويجب أن يفرد الكلام فيها على نسقٍ واحد لا يفرق بين ذاتي وفعلي بل يسار فيها على قانونٍ واحد من الإثبات والإقرار والإمرار.

فلذلك نجد أنهم متناقضون ونقول لهم: يلزمكم فيما أثبتموه نظير ما فررتم منه فيما نفيتموه "يعني أنتم نفيتتم الصفات الفعلية كالرضا والغضب والسخط والمحبة والرحمة وغير ذلك يلزمكم فيما أثبتموه نفس اللازم الذي فررتم منه فيما نفيتموه فأنتم حينما نفيتتم الصفات الفعلية نفيتموها زعماً منكم بان هذا من صفات المخلوقين، نقول نفس الشيء الصفات السبعة التي أثبتموها فيها أيضاً أوصافٌ للمخلوقين فالسمع والبصر، والعلم والإرادة والحياة والكلام والقدرة من صفات المخلوقين أيضاً.

فإن قلتم هذه صفاتٌ للمخلوق فكذلك أيضاً السمع والبصر من صفات المخلوق وإن قلتم تلك نثبتها على الوجه اللائق بالله فنقول أيضاً: وهذه نثبتها على الوجه اللائق بالله.

وبهذا يتبين لكم معاشر الإخوان والأخوات ومن بلغ أن من خصائص طريقة أهل السنة والجماعة الاطراد وأن بعضهم يصدق بعضاً وأنه لا تناقض فيه بوجهٍ من الوجوه في حين أن طريقة المبتدعة تتسم بالتناقض والاختلاف وأنهم يقولون في موضع ما ينقضونه في موضع آخر.

إذاً: نثبت لله سبحانه وتعالى صفة الغضب وصفة الرضا ولكن مع تنزيهه عن مماثلة المخلوقين كما احترز المصنف -رحمه الله- بقوله: (لا كأحدٍ من الورى): أي نثبت ذلك على وجهٍ لائقٍ به، فلا يقولن قائل الغضب هو احمرار العينين وانتفاخ الأوداج، وتهجج الصوت وثورة النفس، كل هذا غضب المخلوق من قال لك أن غضب

الخالق هكذا؟

فأنت إنما شبهت أولاً وعطلت ثانياً، فما حملك على التعطيل إلا لوثة التشبيه ولو أعطيت النصوص حقها ومستحقها ما احتجت إلى هذا الأمر ولا طابت نفسك بخبر الله وخبر نبيه ، وهكذا في سائر الصفات الفعلية.

ثم إنه قال: (والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات): هذا من صفات كماله وموجبات حمده سبحانه أنه يستجيب الدعوات، قال الله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ } [الشورى: 25] وقال إبراهيم عليه السلام: { إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ } [إبراهيم: 39]، ونحو ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى يستجيب الدعوات، وفي الحديث الصحيح (أنه ما من مسلمٍ يدعو الله في الأرض دعوة إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال) أي أن الإجابة لها ثلاثة صور ما من إنسان يدعو الله في الأرض دعوة إلا ولا بد ان يجيبه، كيف تكون الإجابة؟ يقول النبي صلى الله عليه وسلم (إما أن يعجل الله له دعوته أو يدفع عنه من الشر مثلها أو يدخرها له أحوج ما يكون إليها)، إما أن يعجل له دعوته فيستجيب له وإما أن يدفع عنه من الشر مثلها بحيث لا يظهر أنه أجبت دعوته ولكن يدفع الله عنه من الشر ما هو بحجم تلك الدعوة أو أكبر، أو يدخرها له أحوج ما يكون إليها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما من نبيٍ إلا وتعجل دعوته في الدنيا وادخرت دعوتي شفاعَةً لأمتي يوم القيامة)، فقد تدخر الدعوة إلى يوم القيامة.

إذاً: ربنا سبحانه يستجيب الدعوات وفي الحديث الصحيح حديث النزول يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له) وذلك كل ليلة، وقال سبحانه وتعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } [البقرة: 186] ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة وصعدوا ثنيةً طفق أصحابه يرفعون أصواتهم بالدعاء والذكر فقال: (أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً مجيباً) أو كما قال .

فالله تعالى يستجيب الدعوات وهذا يدلنا معشر الإخوان والأخوات على عظم تفرطنا في اغتنام هذه الصفة العظيمة وهي إجابة الداعين وغوث الملهوفين والمكروبين ما أن تمد يديك وتقول: يارب، يارب إلا وأعطاك الله عز وجل، ومع ذلك فما أكثر تفرطك فالله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات أي بالمعنى السابق ولكنه مزيد بيان؛ لأن الدعوة أعم من الحاجة فقد تكون الحاجة أمراً وجودياً سيعى في تحصيله، والدعوات تكون أعم من ذلك كغفران الذنوب وتكفير السيئات ورفعة الدرجات ونحو ذلك.

وينبغي للعبد المؤمن أن يعمر قلبه بالتعلق بالله تعالى رغبةً ورحمةً فإن الدعاء هو العبادة كما قال النبي صلى

الله عليه وسلم : (الدعاء هو العبادة) وفي بعض الألفاظ (الدعاء مخ العبادة) وإن كان فيه ضعف لكن حقيقة العبادة فعلاً تظهر من خلال الدعاء لما فيه من إظهار الافتقار إلى الله عز وجل والانطراح بين يديه والعلم بكمال غناه وكمال قدرته وكمال رحمته إلى غير ذلك من المعاني التي تتداعى في القلب عند القيام بهذه العبادة الشريفة ولذلك كان ربنا يحبها ويسخط على من تركها (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء) كما في الحديث.
وقال الناظم:

الرب يغضب إن تركت سؤاله

وبني آدم حين يسأل يغضب

وهذا هو الواقع الآدمي إذا ألححت عليه بالطلب مرة فمرة تبرم منك وتضايق، والرب سبحانه وتعالى لم تسأله غضب عليك كما جاء في حديث: (من لم يسأل الله يغضب عليه).

ثم قال: (ويملك لكل شيء ولا يملكه شيء) : الله تعالى مالك يوم الدين سبحانه هو المالك له ما في

السموات وما في الأرض كما نطقت بذلك آي كثيرة، فالله تعالى يملك كل شيء ولا يملكه شيء.

(ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين) : لا غنى عن الله طرفة عين ولا أقل من ذلك، فإنه لا يمكن للعبد أن

يقوم إلا بالله تعالى، ولهذا كان من أسماء القيوم وقد تقدم معنا أن القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره، فلا قيام

لأحدٍ إلا بالله تعالى ولهذا قال المؤلف (ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين) من أهل الحين يعني من أهل الهلاك.

(من استغنى عن الله طرفة عين) : يعني من اعتقد بأنه يمكن أن يستغني عن الله طرفة عين فهذا من

موجبات الكفر إذ لا قيام للعبد ولا تحقيق للربوبية إلا باعتقاده بأن الله تعالى هو خالقه ومالكة ورازقه ومعه وممه فلا غنى له عنه بوجه من الوجوه، فمن زعم أنه يستغنى عن الله تعالى طرفة عين فهو حري بالهلكة.

ولما وقع من بعض السفهاء أن ركب أصحابه مرة وقالوا: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنما

إلى ربنا لمنقلبون، كان معه بعير ضعيف هزيل قال: أما أنا فإني مقرنٌ بهذا قال: فقام به بعيره قومةً قوية حتى ألقاه

ودق عنقه؛ لأنه قال قولاً عظيماً، الله تعالى يقول: { وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ } [الزخرف: 13]، يؤدب عباده بهذا،

وهذا يقول أما أنا فإني مقرنٌ لهذا، فادعى استغناءه عن الله عز وجل فلحقه ما لحقه، فيجب على العبد دوماً أن

يشعر بحاجته واضطراره وافتقاره إلى الله.

أوضح مثال أيها الأخوان هذا النفس الذي يتردد بصدورنا لو انقطع لهلك الإنسان، هذا القلب حينما يدق

هذه الدقات المتوالية منذ أن خلقتك إلى أن تموت ربما تعمر مئة سنة وهو يدق لو توقف لحظة انتهى الإنسان لو

انقطع الدم عن الدماغ لبضع ثواني هلك ابن آدم، فلا غنى للعبد عن ربه عز وجل، لا قيام له إلا بالله تعالى.

هذا تواتره تواتر لفظي حديث (من كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار) وحديث (من بنى لله بيتاً بنى الله له بيتاً في الجنة) ثم قال:

ورؤية شفاعة الحوض

ومسح خفين وهذي بعضها

فذكر أموراً ثبتت بالتواتر المعنوي وهي الرؤية والشفاعة والحوض حوض نبينا صلى الله عليه وسلم ومسح الخفين كل هذا ثبت بالسنة متواتراً تواتراً معنوياً.

ومن أشهر الأدلة على ذلك فقد ساق الإمام أبو عثمان الصابوني - رحمه الله - في كتابه عقيدة السلف وأهل الحديث نصوصاً كثيرة في إثبات الرؤية منها الحديث المشهور (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته) وفي لفظ (لا تضامون في رؤيته) فقوله إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر تشبیه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي فليس في هذا تشبیه للرب بالقمر وإنما تشبیه للرؤية بالرؤية أي كما أننا ننظر إلى القمر ليلة البدر رؤية لا يحصل معها ضيم ولا يحصل معها ازدحام، فكذلك يرى المؤمنون ربهم على هذه الصفة بلا ضيم يلحقهم ولا اكتظاظٍ وازدحام يزعمهم، فهذا من أشهر الأحاديث بإثبات الرؤية وغيرها كثير كدعاء النبي (وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك) فسأل ربه لذة النظر إلى وجهه.

فالمصنف - رحمه الله - أثبت الرؤية كما أثبتها أهل السنة وقد انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على هذه

القضية

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..